وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

العامريون

الخطط والأساليب لتجاوز شرط قرشية الخلافة وأمويتها بالأندلس (366 - 399 هـ/ 976 - 1009 م)

الأستاذ عبد القادر عثمان محمد جاد الرب

كلية الآداب - قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

جامعة أم درمان - السودان

عملية تنظيم تداول السلطة في الدولة الإسلامية إشكالية معقدة، لعمق جذورها التاريخية، ولتعدد العناصر المكونة للمجتمع المسلم، واختلاف ثقافتها وأعراقها ومللها. وقد ظهرت هذه المشكلة بعد انتقال الرسول ρ إلى الرفيق الأعلى مباشرة. وحاول زعماء الأنصار والمهاجرين الموجودون بالمدينة ساعتئذ التصدي لها، وتبني أسلوب الحوار للوصول إلى الحل المناسب لها؛ فكان الاجتماع الشهير في سقيفة بني ساعدة، والذي كانت نتيجته اختيار أبي بكر الصديق - وهو قرشي - خليفة للرسول ρ على رئاسة الدين والدولة. ولكن هذا الاختيار، على الرغم من الإجماع النسبي الذي استند إليه، قد بذر البذور الأولى لهذه المشكلة، لأنه استبعد بني هاشم، الذين كان علي بن أبي طالب أبرز مرشحيهم، والذين كانت كل الأعراف السياسية، المحلية والإقليمية والدولية، تصب في صالحهم، عن السلطة. كما استبعد عنها الأنصار، وهم من قبائل الأوس والخزرج اليمنية التي هاجرت إلى المدينة واستقرت بها قبل ظهور الإسلام، وإليهم يرجع الفضل في إيواء الرسول ρ وأصحابه، واحتضان دعوته والدفاع عنها. وهكذا كرس هذا الاجتماع السلطة في أيدي قريش بصفة عامة، وأحدث نوعاً من التعاطف مع المستبعدين وسط شريحة لا بأس بها من المسلمين.

ولم يخف الأنصار اعتراضهم على استئثار قريش بالسلطة دونهم وقلقهم من ذلك؛ كما أن علياً - على الرغم من قرشيته - قد أبدى اعتراضه على اختيار أبي بكر، معتبراً ذلك خروجاً عن الواقع، ومؤامرة لسلبه هو وقومه بني هاشم حقهم في السلطة باعتباره أبرز مرشحيهم. ومع ذلك، بايع الطرفان أبا بكر، حرصاً منهما على وحدة الصف الإسلامي، وحماية لعقيدتهم[1][1].

([1][1]) محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1998، ج 3، صص. 81 - 86؛ اليعقوبي، **تاريخ**، دار صادر، بيروت، 1960، ج 2، صص. 123 - 127؛ شمس الدين أحمد بن عثمان الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، عهد الخلفاء الراشدين، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987، صص. 5 - 14.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

واستمر توافق المسلمين على تداول السلطة سلمياً حتى مقتل سيدنا عثمان بن عفان في سنة 35 هـ/ 655 م، حيث طفا الصراع على السلطة على السطح من جديد، ولكن هذه المرة بين بني هاشم ممثلين في شخص علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبني أمية ممثلين في شخص معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. وقد تمكن معاوية - بحكم حذقه لأساليب السياسة وتوفره على إمكانات مادية هائلة، ورأس مال رمزي، وسلطة سياسية ببلاد الشام - من استقطاب عرب الشام اليمنيين إلى جانبه عن طريق المصاهرة، واختصاصهم بالوظائف القيادية العليا في الجيش والإدارة، والاعتماد عليهم في الجندية إلى جانب عصبيته من بني أمية، الذين انحازوا إليهم من وجهاء قريش ودهاتهم، كعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة؛ كما تمكن من بسط سيطرته على بلاد الشام، والاستبداد بحكمها، ومنافسة علي على الخلافة.

وفي سنة 40 هـ/ 660 م، اغتيل علي بن أبي طالب. فتمكن معاوية من انتهاز هذه الفرصة وفرض نفسه خليفة من بعده. ثم بدأ وضع الأسس والضوابط والترتيبات التي من شأنها أن تجعل الخلافة دولة بين أفراد أسرته. وقد اصطلح المؤرخون على تسمية هذه الدولة التي أنشأها، ثم تعاقب على حكمها أفراد أسرته من بعده، بالدولة الأموية(2[2]).

وفي ظل الدولة الأموية تم افتتاح الأندلس في خلافة الوليد بن عبد الملك بوساطة موسى بن نصير والي إفريقيا ومولاه طارق ابن زياد في سنة 92 هـ/ 713 م. وقد كان معظم العرب الذين شاركوا في الفتح من عرب الشام اليمنيين، وإلى جانبهم كانت هنالك مجموعات من عرب الشمال العدنانيين المضريين، وأعداد كثيرة من البربر. وقد نقل الفصيلان العربيان الكبيران، المضرية واليمنية، الصراعات التي كانت محتدمة بينهما في المشرق إلى الأندلس. وازدادت الصراعات بينهما حدة في هذه الأخيرة نتيجة لسياسة الدولة الأموية القائمة على اختيار ولاة الأندلس من بين الذين تتوسم فيهم تحقيق مصالحها، بغض النظر عن الفصيل الذي ينتمون إليه، وانتهاز الولاة المعينين للفرصة في تشجيع بني قبيلتهم على الهجرة إليهم، ووعدهم باختصاصهم بالمناصب العليا والإقطاعات والحوافز المادية والمعنوية، ليكونوا عوناً لهم في شؤون الحكم، وفي مدافعة خصومهم ومنافسيهم(3[3]).

وقبيل سقوط الدولة الأموية في المشرق، كان الصراع على أشده بين اليمنية والمضرية بالأندلس، ودارت العديد من المعارك والاشتباكات بينهما، وكانت كفة المضرية فيها هي الراجحة. وقد قتلت أعداد كبيرة في هذه المعارك، وخاصة معركة شقندة (Secunda)(4[4]). ونتيجة لذلك، أصبح اليمنيون مهيئين للوقوف إلى جانب أي قوة سياسية بإمكانها الثأر لهم من خصومهم المضرية. وهذا واضح من ترحيبهم بعبد الرحمن الداخل، بعد نجاحه في الهروب من المذابح العباسية لأفراد أسرته، وعبوره إلى الأندلس، ووقوفهم إلى جانبه. وبفضل عونهم ومساعدتهم،

(2[2]) محمد بن جرير الطبري، **المصدر السابق**، ج 4، ص. 161، 164 - 165، 393، 407، 410.

(3[3]) ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، بيروت، ط. 3، 1983، ج 2، صص. 4 - 37.

(4[4]) شقندة (Secunda): قرية تقع على ضفة الوادي الكبير في الجهة المواجهة لقصر الإمارة بقرطبة [Cordoba] (ابن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مادة «شقندة»، بيروت، 1975، ص. 359).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
EL-PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

تمكن من هزيمة المضرية وأسر زعمائهم، وإعلان نفسه زعيماً على الأندلس في 15 ذي الحجة 138 هـ/ 756 م[5].

لم يضع وصول عبد الرحمن إلى السلطة حدّاً لهذا الصراع بين الكتلتين المتنافستين، بل استمر طوال فترة الإمارة بالأندلس (138 - 316 هـ/ 755 - 928 م) وبصورة علنية. ثم اتخذ أسلوباً جديداً وآليات للوصول إلى أهدافه وغاياته في عصر الخلافة. وسنحاول في هذه الدراسة إلقاء الضوء عليها وتشخيصها.

أما المحاور التي سيتم التركيز عليها، فهي: التعريف بالعامريين، وخطط ابن أبي عامر وآلياته للوصول إلى السلطة، والمشروع السياسي العامري بعد وفاة المنصور، فملاحظات عامة واستنتاجات.

أوَّلاً: التعريف بالعامريين

عميد الأسرة العامرية وباني مجدها هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن عامر المعافري القحطاني[6]. وقد اشتهر باسم الحاجب المنصور ابن أبي عامر.

ازداد المنصور بطرش (Torrox) [7] في سنة 328 هـ/ 940 م، في أسرة تداخل فيها النسب العربي اليمني مع المضري. فوالده من قبيلة معافر، إحدى بطون قبيلة حمير اليمنية. أما والدته، فهي من قبيلة بني تميم المضرية[8].

وقد دخل جده عبد الملك إلى الأندلس مع حملة الفتح الإسلامي بقيادة طارق ابن زياد، وأبلى بلاء حسناً في المعارك التي دارت بين الفاتحين المسلمين وحكام الأندلس القوطيين، وانتهت بانتصار المسلمين، وضم الأندلس إلى حاضرة الدولة الأموية بدمشق. وبعد الفتح استقر جده وأسرته في منطقة الجزيرة الخضراء (Algeciras)، وأصبحت له السيادة على أهلها، وتمكن من تكوين رأس مال رمزي له ولأسرته. ولذلك تكررت الوجاهة والنباهة في ذريته. وبمرور الوقت، رحلت مجموعات من أفراد أسرته إلى قرطبة. وهنالك أصبحوا من المقربين إلى أمرائها، كجده أبي عامر محمد بن الوليد، الذي يعرف آل عامر به، وولده عامر. أما ولده عبد الله، والد المنصور،

---

[5] ابن عذاري المراكشي، **المصدر السابق**، ج 2، صص. 33 - 47.

[6] عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي، تقديم ممدوح حقي، الدار البيضاء، ط. 7، 1978، صص. 45 - 46.

[7] طرش (Torrox): قرية من قرى الجزيرة الخضراء.

[8] الحميدي، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966، ص. 79.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

فقد كان محباً في العلم، زاهداً في الرئاسة والجاه، على الرغم من أن والدته بنت يحيى بن إسحاق، وزير وطبيب الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله[9].

وقد وفرت المكانة الاجتماعية المرموقة لأسرة المنصور، وإمكاناتها الاقتصادية الجيدة، وأعراقها الطيبة، البيئة السليمة له. فشب عن الطوق سليماً معافى، وأظهر رغبة في العلم والتعلم منذ نعومة أظفاره. فبدأ بدراسة القرآن الكريم واللغة العربية، كغيره من الأطفال، في مسقط رأسه. ثم شد الرحال إلى قرطبة، وهو شاب، لإكمال تعليمه والتتلمذ على كبار علمائها وفقهائها. وهنالك سلك طريق القضاة أسوة بخؤولته وعمومته، فقرأ الحديث على ابي بكر بن معاوية القرشي، رواية النسائي، وغيره، وقيد اللغات على أبي علي البغدادي[10]، وأبي بكر ابن القوطية[11].

وبعد أن أكمل ابن أبي عامر الدراسة، امتهن مهنة الكتابة، واستأجر حانوتاً بالقرب من قصر الخلافة بقرطبة لهذا الغرض. فأظهر براعة فيها، وذاع صيته في الآفاق، ووصلت شهرته إلى صبح، زوجه الخليفة الحكم المستنصر، عن طريق جعفر بن عثمان المصحفي[12]. فاستدعته وجعلته مشرفاً على أملاكها، ووكيلاً لابنها عبد الرحمن في 9 خلون من ربيع الأول 356 هـ/ 22 فبراير 967 م، ثم وكيلاً لابنها هشام في 4 خلون من رمضان 359 هـ/ 11 يوليو 970 م بعد وفاة أخيه عبد الرحمن[13]. فأظهر كفاءة عالية في الإدارة، ونال ثقتها وإعجابها. ومكافأةً له على إخلاصه وتفانيه في العمل، طلبت من زوجها أن يرفع من شأنه، فجعله أميناً على دار السكة، فقاضياً على بعض النواحي بكورة رية (La Cora De

---

(9) ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب، المصدر السابق**، ج 2، صص. 256 - 257.

(10) أبو علي البغدادي: هو من كبار علماء اللغة العربية في المشرق. رحل إلى الأندلس من بغداد في خلافة المستنصر الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله (350 - 366 هـ/ 961 - 976 م) (لسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1973، ج 3، صص. 183 - 184).

(11) أبو بكر بن القوطية: هو محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم، مولى عمر بن عبد العزيز. وقد اشتهر بـ«ابن القوطية»، نسبة إلى جدته القوطية سارة بنت ألمند (Olmundo) بن غيطشة (Witiza)، آخر ملوك إسبانيا الذين ينتمون إلى الفاتح القوطي الأول لإسبانيا، والذي جاء من بعده لذريق (Rodrigo)، وهو من خارج الأسرة القوطية المالكة. وفي عهد هذا الأخير تم للمسلمين فتح الأندلس. وقد أسلمت سارة، ثم تزوجت بمزاحم في خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان (105 - 226 هـ/ 733 - 743 م)، واستقرت بإشبيلية (Sevilla).
سمع ابن القوطية الحديث من كبار محدثي إشبيلية وقرطبة، واستقر به المقام بقرطبة. وكان عالماً بالنحو، حافظاً للغة، متقدماً فيها على علماء عصره، وله فيها تآليف جيدة، ككتاب **"تصاريف الأفعال"**، وكتاب **"المقصور والممدود"**. كما كانت كتب اللغة تقرأ عليه، وتؤخذ عنه ككتاب **"الكامل"** لمحمد بن يزيد المبرد. وفضلاً عن ذلك، فقد كان ملماً بأخبار الأندلس وأحوال شعرائها وفقهائها، وله كتاب مشهور في التاريخ، وهو كتاب **"تاريخ افتتاح الأندلس"**. توفي بقرطبة في 7 بقين من ربيع الأول 367 هـ/ 8 ديسمبر 977 م (ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1966، صص. 76 - 77؛ عبد الرحمن علي، **التاريخ الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة (92 - 897 هـ/ 711 - 1492 م)**، صص. 159 - 161).

(12) جعفر بن عثمان المصحفي: هو أبو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسيلة. ينتمي إلى إحدى بطون القبائل البربرية المستوطنة ببلنسية (Valencia). وكان والده مؤدباً للخليفة الحكم المستنصر بن الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله في صباه. ولذلك فإن أسرته كانت تعد جزءاً من أسرة القصر الملكي. ونتيجة لذلك، فقد تمكن الخليفة عبد الرحمن الناصر من التعرف إلى جعفر المصحفي والوقوف على إمكاناته العقلية والإداريّة المتميزة، وقدرته على الخلق والإبداع. وأراد الإفادة منه، فأسند إليه عدداً من المهام الإدارية. ولما آلت الخلافة لابنه الحكم، رفع من شأن جعفر فأسند إليه وظيفة الحجابة، وهي بمثابة الوزير الأول في زماننا هذا. وفي بدايات خلافة هشام المؤيد بالله بن الحكم، كانت جميع السلطات في يد جعفر. ولكن الحاجب المنصور ابن أبي عامر قد تمكن بعد ذلك من تهميشه، وحجب الخليفة هشام نفسه عن الأنظار، والاستبداد بالسلطة (ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب، المصدر السابق**، ج 2، صص. 254 - 255؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام...**، **أو تاريخ إسبانيا الإسلامية**، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، بيروت، ط. 2، 1956، صص. 60 - 62).

(13) ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب...**، **المصدر السابق**، ج 2، ص. 251.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

Reyyo)[14]. ثم رفعه درجة في سلم المجد، فجعله مسؤولاً عن أموال الزكاة والمواريث وإدارة الشرطة الوسطى بمدينة إشبيلية (Seville) ولبلة (Niebla)[15]، فقاضياً للقضاة، مسؤولاً عن النظر في الحشم في الجزء الغربي من العدوة المغربية[16].

وقد حرص ابن أبي عامر على التوفيق ما بين الواجبات الوظيفية وأدائها على الوجه الأكمل، والاحتفاظ بالعلاقات الطيبة القائمة بينه وبين صبح وجعفر المصحفي وتدعيمها بكل الوسائل المادية والمعنوية باعتبارها الضامن الوحيد لاستمراره في العمل والتدرج إلى ذرى المجد[17]. وقد نجح في ذلك، إذ اعتمدت عليه صبح في تثبيت ابنها هشام - ذي الأحد عشر ربيعاً - خليفة لأبيه، بعد نجاحها في انتزاع مرسوم من الحكم في حياته ينص على تعيينه ولياً للعهد، وأمدته بالأموال اللازمة[18]. فكان لها ما أرادت.

وبعد جلوس هشام على العرش، أسند خطة الوزارة إلى ابن أبي عامر؛ كما جعله رسيلاً لحاجبه جعفرالمصحفي في تدبير الدولة[19].

لم تضع الوزارة وتوابعها حدّاً لطموح ابن أبي عامر؛ بل فتحت أمامه الطريق للعمل على تنفيذ مشروع أكبر وهو حجب الخليفة هشام عن الأنظار، والاستبداد بالسلطة دونه، والعمل على استبعاد بني أمية عن السلطة بالأندلس، وتهيئة الرأي العام والخاص لقبوله هو وأسرته بديلاً لهم. فما الخطط والتدابير والآليات التي استعملها لتنفيذ هذا المشروع؟

---

(14) كورة رية (La Cora de Reyyo): هي إحدى كور الأندلس. وكانت عاصمتها مالقة (Malaga). وقد كانت هذه المدينة الأخيرة تعرف قديماً بـ«ريه». (ابن حيان، **المقتبس في أخبار أهل الأندلس**، تحقيق عبد الرحمن الحجي، بيروت، 1956، هامش رقم 3، ص. 27 من كلام المحقق).

(15) لبلة (Niebla): مدينة قديمة تقع في الجهة الغربية من الأندلس، وترجع أصول آباء ابن حزم الأندلسي الأولين إليها (الحميري، **الروض المعطار**...، مادة «لبلة»، صص. 507 - 508).

(16) ابن بسام، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1979، ق 4، ج 1، ص. 60؛ ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**...، **المصدر السابق**، ج 2، صص. 251 - 252؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**...، تحقيق بروفنسال، ص. 59؛ أحمد مختار العبادي، **في تاريخ المغرب والأندلس**، الإسكندرية، د. ت.، ص. 243.

(17) ابن عذاري، **المصدر السابق**، صص. 252 - 253؛ ابن الخطيب، **المصدر السابق**، ص. 59.

(18) ابن بسام، **الذخيرة**...، **المصدر السابق**، ق 4، ج 1، ص. 57.

(19) ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**...، **المصدر السابق**، ج 2، ص. 254.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثانياً: خطط ابن أبي عامر وآلياته للوصول إلى السلطة

كان ابن أبي عامر شخصية طموحة تتوفر على قدرات إدارية وسياسية وعلمية هائلة، زادتها صقلاً وتطويراً المهام والوظائف التي تقلدها. هذا، فضلاً عن تفتيقها لقرائحه، وتوسيعها لمداركه، وإتاحتها الفرصة له للاحتكاك المباشر بأفراد الأسرة الأموية الحاكمة، والوقوف على سلوكياتهم، وقدراتهم العقلية والسياسية الحقيقية، بعيداً عن الهالة والقداسة التي يضفيها، عادة، المؤيدون والمنتفعون من سياستهم، ويرددها ويتناولها العامة في أحاديثهم وأسمارهم بغير وعي بأبعادها السياسية والاجتماعية، واكتشاف حقيقة نفسه، وأنه أهل للخلافة منهم، وأن الأعراف السياسية المتجذرة في المجتمع الأندلسي، التي تقوم على حصر الخلافة في قريش، بصفة عامة، وبني أمية منها بصفة خاصة، أعراف ظالمة وخاطئة، ولا علاقة لها بالدين الإسلامي، وإنما هي من ابتداع بعض فقهاء السياسة الإسلامية المنتفعين من سياسات بني أمية، وأنه بالإمكان تجاوزها، خاصة في ظل الظروف السياسية التي تمر بها الأندلس، واستبعاد بني أمية عن السلطة، والجلوس مكانهم، ولكن بصورة تدريجية، ووفقاً للخطط والتدابير والآليات الآتية:

1. التخلص من زعماء الصقالبة ومرشحهم للخلافة:

لم يضع المرسوم الذي أصدره الخليفة الحكم المستنصر قبيل وفاته، والقاضي بتعيين ابنه هشام ولياً للعهد، حدّاً للتنافس بين أفراد الأسرة الحاكمة والمؤيدين لهم داخل القصر حول السلطة، بل فتح أبواب الصراع والتنافس على مصاريعها. ولعل ذلك يعود إلى صغر سن هشام، وعدم اقتناع مجموعات من المتنفِّذين في البلاط السلطاني - وخاصة الصقالبة - بولايته، مع وجود شخصيات أموية ناضجة، كالمغيرة بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، ولا يتعارض وصولها إلى السلطة مع استمرار نفوذهم ومصالحهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وإلى وجود مجموعات أخرى مساندة لهشام، وترى في وصوله إلى السلطة - مع صغر سنه - ثغرة يمكنها النفاذ من خلالها لتحقيق أغراضها وطموحاتها. وعلى رأس هذه المجموعة جعفر المصحفي ومحمد بن أبي عامر، وصبح والدة هشام[20].

وقد ظهر التنافس بين المجموعتين على الملإ بعيد وفاة الخليفة الحكم مباشرة. إذ قرر زعيما الصقالبة، فائق وجوذر، كتمان خبر وفاته، والنكوث عن بيعة هشام، والبيعة لعمه المغيرة، وتعيين هشام وليّاً للعهد. ثم اتصلا بالحاجب جعفر المصحفي، وأبلغاه بما فعلا، فتظاهر لهما بالموافقة والاستحسان، ونصحهما باستشارة وجهاء الدولة، وكبار رجالات البيت الأموي، وتعهد لهما بالتوجه نحو باب القصر لضبط الأمور. ولكنه بعد الوصول إلى القصر تنصل من كل تعهداته لهم، واستدعي المقربين إليه من الأعيان وأشياعهم، كمحمد بن أبي عامر، والجنود كبني برزال[21]،

---

(20) **المصدر نفسه**، صص. 259 - 261.

(21) بنو برزال: ينتمي بنو برزال إلى قبيلة زناتة البربرية. وقد اشتهروا بالصرامة وشدة البأس. ولم تكن أعدادهم كبيرة بالأندلس قبل استبداد محمد بن أبي عامر بالسلطة دون الخليفة هشام المؤيد بالله. إلا أن أعدادهم قد تضاعفت في عهده لتشجيعه إياهم على الهجرة من المغرب إلى الأندلس. وبعد سقوط

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وسائر الجنود الأحرار، وشرح لهم الأمر. فاجتمع رأيهم على مباغتة المغيرة واغتياله قبل اتصال الصقالبة به، وكلف محمد بن أبي عامر بهذه المهمة. فكان لهم ما أرادوا[22].

ثم انتقل جعفر ومجموعته إلى هدفهم الأساسي، وهو تنفيذ وصية الخليفة الحكم المستنصر، وإجلاس ابنه هشام على كرسي الخلافة. فجاء جعفر بهشام في يوم الاثنين 4 خلون من صفر 366 هـ/ 3 أغسطس 976 م إلى القصر، ثم قام ابن أبي عامر بدعوة الناس للبيعة له، فتطايروا زرافات ووحداناً، ولم يختلف عليه اثنان. وبإيعاز من ابن أبي عامر، أصدر هشام أوامره بإسقاط ضريبة الزيتون التي تؤخذ في الزيت بقرطبة. فاستبشر الناس بعهده خيراً، وعلت مكانة ابن أبي عامر بينهم لما علموا أنه هو الذي كان وراء الإسقاط[23].

أما زعماء الصقالبة، فقد جاءوا معتذرين لجعفر، مستحسنين رأيه، مباركين إياه، بعدما تأكد لهم اغتيال مرشحهم للخلافة المغيرة. فتظاهر لهم بالقبول، وفي الوقت نفسه عمل على بث عيونه وسطهم، للوقوف على مواقفهم ونواياهم الحقيقية؛ فتأكد له عدم رضائهم عما حدث. فأحكم الرقابة عليهم، وعمل على تهميشهم، وسلط عليهم ابن أبي عامر. فصادر أموالهم وأملاكهم، وشق صفوفهم، واستمال إليه مجموعات كبيرة من مؤيديهم وأتباعهم، ومارس عليهم ضغوطاً شديدة، فضعف أمرهم، واضطر جوذر لتقديم طلبه بالاستصفاء عن الخدمة بالقصر، والسماح له بالجلوس في بيته، فكان له ما أراد. أما فائق، فقد تم نفيه إلى الجزائر الشرقية[24]. وأما البقية الباقية، فقد اغتال ابن أبي عامر منها كل من شك في ولائه للسلطان وشعر بخطورته على أمن الدولة، واستصفَى أمواله، وصادر ممتلكاته. وبهذه الطريقة تمكن من كسر شوكتهم، وتثبيت الأمر لهشام المؤيد بالله[25].

2. الاهتمام بالجيش:

زادت الممالك الإسبانية النصرانية في الشمال من اهتمامها بجيوشها في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، ووظفت كل إمكاناتها المادية في إعدادها، وتوفير سبل الحياة الكريمة لها[26]. ثم بدأت تكثيف هجماتها على الدولة الإسلامية بالأندلس بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر، مستفيدة من صغر سن الخليفة الجديد هشام المؤيد بالله، والخلافات داخل القصر حول السلطة. ولكن ابن أبي عامر تنبه لهذا الخطر وأشار على جعفر المصحفي بالتصدي له، فعرض

الدولة الأموية بالأندلس، أصبح بنو برزال جنداً مرتزقة بتحول ولائهم لصاحب العرض الأفضل من ملوك الطوائف. (ابن بسام، **الذخيرة...**، **المصدر السابق**، ق 2، ج 1، صص. 21 - 40؛ عبد الله ابن بلقين، **مذكرات ابن بلقين**، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1955، ص. 133؛ Consuelo Lpoez, «Los Berberies Zanata in la historia y la Leyenda», *Al-Andalus*, Granada - Madrid, 1977, XLII, pp. 308-310.)

(22) ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب...**، **المصدر السابق**، ج 2، صص. 260 - 261؛ ابن بسام، **الذخيرة...**، **المصدر السابق**، ق 4، صص. 58 - 59.

(23) ابن عذاري المراكشي، **المصدر السابق**، صص. 259 - 262.

(24) الجزائر الشرقية: هي مجموعة جزر، أهمها ميورقة (Mallorca) ومنورقة (Minorca) وقبريرة (Cabrira) وفورمنتيرة (Formentera) ويابسة (Ibiza). وهي اليوم تابعة لدولة إسبانيا (España).

(25) ابن عذاري، **البيان المغرب...**، **المصدر السابق**، ج 2، صص. 260 - 264؛ ابن بسام، **الذخيرة...**، **المصدر السابق**، ق 4، ج 1، ص. 61.

(26) الطرطوشي، **سراج الملوك**، القاهرة، 1319 هـ، ص. 210.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

جعفر المهمة على وجهاء الدولة فتقاعسوا عنها؛ إلا محمد ابن أبي عامر، الذي رحب بالقيام بها إذا أطلقت يده في اختيار الجند، ووفرت له مائة ألف مثقال لإعدادهم وتوفير مستلزماتهم أثناء الغزو. فجاءه الرد بالإيجاب[27].

اتجه ابن أبي عامر بعد ذلك إلى استثمار هذه الفرصة الثمينة التي أتيحت له، وتوجيهها في الاتجاه الذي يخدم طموحاته ومشروعه للوصول إلى السلطة. فقام بإعادة تشكيل الجيش وصياغته بالصورة التي تضمن له التحكم فيه، والاطمئنان على ولائه له. فاستبعد عنه العناصر الموالية لبني أمية من الصقالبة والعبيد، وأدخل فيه عناصر جديدة من البربر كصنهاجة[28]، وبني برزال، ومن أعلاج ليون (Leon)[29] وقشتالة (Castilla)[30] ونبره (Navarra)[31] وغيرهم[32]، وزاد في أرزاقهم، وأحسن معاملتهم، واهتم بتدريبهم وتسليحهم، وأعاد تنظيمهم. فقدم زعماء البربر على زعماء العرب، وفرق جند القبيلة الواحدة في صفوف مختلفة. وقد استند ابن أبي عامر في إعادة تنظيمه للجيش إلى القاعدة التي كانت سائدة في زمانه، والتي تقول بأن الجيش إذا كان حكراً على قبيلة أو جنس واحد، فإنه من الصعب على الحاكم الاطمئنان إليه، لأنه إذا استفز أو تعرضت مصالحه للخطر، فلن يجد صعوبة في اجتماع الكلمة وإعلان التمرد على الخليفة أو الأمير؛ أما إذا كانت أعراقه مختلفة، فإنه في هذه الحالة سيجد صعوبة في توحد المواقف واجتماع الرأي في القضايا التي تتعلق بمصيره وسياسات الدولة، ومن هنا يصبح من السهل على القائد أو الحاكم ضرب أي مجموعة انتابه الشك في نواياها تجاهه بالمجموعات الموالية له[33].

وبهذه الطريقة تمكن ابن أبي عامر من تنظيم الجيش، وتهيئته للجهاد، والتحكم فيه، وكسب ثقته، والاطمئنان إليه وإلى ولائه له.

---

(27) ابن بسام، **الذخيرة...**، **المصدر السابق**، ق 4، ج 1، ص. 62.

(28) صنهاجة: تعتبر صنهاجة ومنافستها وعدوها التقليدي، زناتة، الفصيلان الرئيسان لقبائل البربر بالشمال الأفريقي. وقبيلة صنهاجة، وبالتحديد فرعها لكتامة، هو الذي ساند الفاطميين في تأسيس ملك لهم بإفريقية والمغرب، وهو الذي أدار هذه المناطق نيابة عنهم بعد رحيلهم إلى مصر (عبد الله ابن بلقين، **مذكرات ابن بلقين، المصدر السابق**، صص. 16 - 17؛ ابن خلدون، **العبر...**، بيروت، 1959، ج 6، ص. 317؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام...**، تحقيق العبادي والكتاني، الدار البيضاء، 1964، صص. 59، 62، 64؛
E. Levi Provençal, *Historire de l'Espagne musulamane*, Paris, T. 11, 1950, p. 271; H.R. Idris, *La Berbérie orientale sous les zirides*, Paris, 1962, vol. I, pp. 41, 93, 97.

(29) ليون (Leon): هي إحدى الممالك الإسبانية النصرانية. تمتد من بلاد البشكنس في الشرق إلى شواطئ بحر الظلمات غرباً، ومن خليج بسكاية شمالاً إلى نهر دويره جنوباً. كانت تسمى مملكة جليقية (Galicai) ولكن بعد نقل ألفونسو الثالث العاصمة إلى ليون في 294 هـ/ 910 م أصبحت تعرف بمملكة ليون (رجب محمد عبد الحليم، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف**، القاهرة، بيروت، د. ت، صص. 89 - 90؛
Livermore Harold, *A History of Spain*, London, 1958, pp. 69-70.

(30) قشتالة (Castilla): كانت في بدايتها مجموعة من القلاع التي أحاطت بها مملكة ليون نفسها من الجنوب. وفي القرن العاشر الميلادي، اتحدث هذه القلاع بزعامة أقوى أمرائها فيرنان غونثالث (Fernan Gonzales) وانفصلت عن ليون وأصبحت مملكة مستقلة، ولغتها اليوم هي اللغة المحلية في إسبانيا وأمريكا اللاتينية (أحمد مختار العبادي، **في تاريخ المغرب والأندلس**، الإسكندرية، د. ت.، ص. 78).

(31) نبرة (Navarra): هي مملكة إسبانية نصرانية تقع غربي جبال الأبواب [البورتات] (Portus)، وتفصل بين إمارة برشلونة (Barcelona) ومملكة ليون، ويسكن جبالها شعب ذو بأس واعتداد بالنفس والأصول والتراث، يسمى الباسك، نسبة إلى منطقة بسكاية (Biscaya). وتطلق عليه المصادر العربية اسم البشكنس (Los Vascons) (عبد الحليم رجب، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية...**، **المصدر السابق**، صص. 90 - 91).

(32) محمد عبد الله عنان، **الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية**، القاهرة، 1958، ص. 45.

(33) عبد الله ابن بلقين، **مذكرات ابن بلقين، المصدر السابق**، صص. 16 - 17؛ ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب...**، **المصدر السابق**، ج 2، ص. 364؛
H.R. Idris, «Les Zirides d'Espagne», *Al-Andalus*, Madrid, 1964, vol. XXIX, Fasc. I, p. 40.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

3. تأمين الثغور:

تحتل مهمة بسط الأمن وتأمين روع الخائفين مرتبة الصدارة في قائمة المهام الأساسية لواجبات الدولة تجاه رعاياها في أي زمان ومكان. وتزداد هذه المهمة أهمية في بلد مثل الأندلس. في الفترة موضع الدراسة، كانت الأخطار تحيط به من كل جانب، وخاصة ثغوره الشمالية، حيث بدأت مملكة ليون (Leon) تتنصَّل عن معاهدة السلام، التي كانت بينها وبين الأندلس، والتي كانت وراء إبرامها إلبيرة (Elvira)[34]، بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر بالله (366 هـ/ 976 م)، وبلوغ ملكها ردمير الثالث (354 - 370 هـ/ 966 - 982 م) سن الرشد، ومباشرته للحكم بنفسه، ومهاجمته الأراضي الإسلامية، وترويع أهلها.

وفي هذه الأثناء، كان ابن أبي عامر وحزبه مشغولين بتثبيت الخلافة إلى هشام وتقليم أظافر جيوب المعارضة الداخلية. وبعد أن فرغوا من أداء هذه المهمة بنجاح، لفت ابن أبي عامر الأنظار إلى الثغور، ونبه بخطورتها على المستقبل السياسي للدولة الإسلامية بالأندلس، وضرورة التحرك لتأمينها ودحر الأعداء. فوجد نداؤه استحساناً من الجميع، وأسندت إليه مهمة إعداد الجيوش وقيادتها والتحرك لمواجهة الأعداء، ووفرت له كل المعينات التي من شأنها تمكينه من القيام بهذه المهمة بنجاح.

فأعد ابن أبي عامر جيوشه، ثم توجه صوب الأعداء. فنزل بحصن الحامة من أعمال جليقية (Galicia)[35]، وأنزل بالنصارى هناك هزيمة نكراء، ثم عاد محملاً بالأموال والغنائم والسبايا. وقد كان هذا النصر واحداً من الأسباب الرئيسة التي كانت وراء ذيوع صيت ابن أبي عامر في أواسط العامة والخاصة بالأندلس، وعظم شأنه بين الرعية، وتعلق جنده به، وازدياده ثقة في نفسه وفي قدراته العسكرية والسياسية والإدارية[36]، وتفكيره في التخلص من جعفر المصحفي، الذي كان سبباً في إتاحة الفرصة له لتقديم خدماته للخليفة الحكم وأسرته.

4. التخلص من جعفر المصحفي والجلوس مكانه:

يعتبر جعفر المصحفي المسير الحقيقي للدولة الأموية في بداية حكم الخليفة هشام المؤيد بالله بن الحكم، وأقرب الشخصيات إلى الأسرة الحاكمة، وأكثرها تعلقاً بها وولاء لها. وقد امتدت خدمته للأمويين منذ عهد الخليفة الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الثالث. ولذلك أصبح رمزاً من رموز دولتهم، وركناً من أركانها. وقد كانت هذه المكانة السياسية، والمنزلة الرفيعة التي يتبوأها

---

(34) إلبيرة (Elvira): هي عمة الملك ردمير ملك ليون، وقد كانت صاحبة الأمر والنهي في بداية عهده، وذلك لصغر سنه. (رجب محمد عبد الحليم، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف**، **المرجع السابق**، ص. 198).

(35) جليقية (Galicai): كانت جزءاً من مملكة ليون التي كان يحكمها ردمير الثالث (354 - 370 هـ/ 966 - 982 م). وقد كانت ليون (Leon) مرتبطة بمعاهدة سلام مع الخليفة الحكم المستنصر أبرمتها معه إلبيرة (Elvira) عمة الملك ردمير، وذلك لصغر سن الأخير، ولقيامها بأعباء الملك نيابة عنه. ولكن بعد بلوغ ردمير سن الرشد، استلم السلطة من عمته، ثم قام بنقض العهود التي كانت مبرمة بين مملكته ومسلمي الأندلس، وهاجم بلادهم، وذلك في بداية حكم الخليفة هشام المؤيد بالله (رجب محمد عبد الحليم، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية...**، **المرجع السابق**، ص. 198).

(36) ابن بسام، **الذخيرة...**، **المصدر السابق**، ق 4، ج 1، ص. 62.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

المصحفي عند الأسرة الحاكمة تشكل عائقاً أساسياً أمام طموحات ابن أبي عامر السياسية ومشروعه الرامي إلى الانفراد بالسلطة دون الأسرة الأموية، ولكن بصورة تدريجية. ولذلك وضع خطة لإزاحته عن السلطة، والجلوس مكانه تقوم على المرتكزات التالية:

أ ـ استقطاب العناصر والأسر المؤثرة في البلاط الأموي وسياساته:

تشير معظم الكتابات التي تناولت شخصية محمد بن أبي عامر بالذكر إلى تطلعه إلى المجد والسلطة منذ بواكير حياته، وتصفه بالذكاء والفطنة[37]. ويؤكد صدق ما ذهبت إليه هذه الكتابات استغلال ابن أبي عامر للمهام والوظائف التي كلفته بها الأسرة الأموية الحاكمة في تلميع شخصيته في الأوساط العامة والخاصة، وكسب المؤيدين، والتقرب والتودد إلى مرؤوسيه والشخصيَّات النافذة في الدولة بالتفاني في العمل، والهدايا، وبذل الأموال. ومن أبرز الشخصيات التي نجح في استقطابها إلى جانبه صبح زوجة الخليفة الحكم المستنصر، ووالدة ابنه وولي عهده هشام[38]، وغلمان الخليفة الحكم الذين كانوا يمارسون السياسة، ولكن من وراء الكواليس، ولهم دور في صنع القرار السياسي وتوجيهه[39]، والأسر الموالية لبني أمية، كأسرة بني حزم[40]، وبني حيان[41]، وبني شُهيد[42]، وبني

---

(37) الحميدي، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، القاهرة، 1966، ص. 78؛ المراكشي، **المعجب...**، **المصدر السابق**، صص. 46 - 48.

(38) ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب...**، **المصدر السابق**، ج 2، ص. 252.

(39) ابن بسام، **الذخيرة...**، **المصدر السابق**، ق 4، ج 1، صص. 63 - 64.

(40) أسرة بني حزم: تدخل أسرة بني حزم في عداد الأسر الموالية لبني أمية. والموطن الأصلي لهذه الأسرة هو قرية من إقليم لبلة (Niebla) بغرب الأندلس. وهنالك اختلاف بين المؤرخين حول أصولها العرقية، يتوزع ما بين العنصرين الفارسي والإسباني. وقد كان لها نفوذ واسع في دولة بني أمية. ومن أبرز أفرادها في فترة محمد بن أبي عامر وابنيه أحمد بن سعيد بن حزم، والد الفقيه والأديب والفيلسوف أبي محمد علي. وقد كان لأحمد دور بارز في تثبيت ركائز حكمهم وتنفيذ سياساتهم (ابن بشكوال، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقائهم وأدبائهم**، نشر عزت العطار الحسيني، القاهرة، 1955، ج 2، ص. 417؛ المراكشي، **المعجب...**، **المصدر السابق**، صص. 71 - 72؛ المقري، **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1968، ج 2، ص. 78؛ سالم يفوت، **ابن حزم والفكر الظاهري بالمغرب والأندلس**، الدار البيضاء، 1986، ص. 66؛ Miguel Asin Palacius, *Abnhazm de Cordoba y su Historia de las Ideas Religiosas*, Madrid, 1984, Tomo. I, p. 23, pp. 48-49; Miguel Cruz Fernandez, *Historia del pensaliento en el Mundo Islamico desde el Islam andalucian hasta el socialismo Arabe*, Madrid, 1981, Tomo. II, p. 35.

(41) بنو حيان: هم أسر قرطبية ينتهي نسبها إلى حيان، مولى الأمير عبد الرحمن الداخل بن معاوية. ومن أبرز أفرادها المتنفذين في فترة الخليفة الحكم المستنصر وابنه هشام الذين استقطبهم ابن أبي عامر إلى جانبه خلف بن حسين بن حيان، والد المؤرخ القرطبي الشهير أبو مروان حيان المشهور بابن حيان. وقد كان خلف كاتباً لابن أبي عامر وأميناً لسره. وقد نقل عنه ابنه أبو مروان حيان معلومات هامة عن العامريين في كتابه الذي خصصه للدولة العامرية (ابن بشكوال، **الصلة...**، ترجمة رقم 344، صص. 150 - 151؛ ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق عزت العطار الحسيني، مصر، 1955، ترجمة رقم 801، ص. 295؛ ابن حيان، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، تحقيق محمود علي مكي، القاهرة، 1971، صص. 8 - 14).

(42) بنو شهيد: هم من الأسر العربية التي كانت قاطنة بمدينة يثرب. وفي فترة الأمير عبد الرحمن الداخل (138 - 172 هـ/ 756 - 788 م)، دخل الأندلس جدهم الأكبر شهيد بن عيسى، الذي ينتسبون إليه. وتقلد عدد من أفراد هذه الأسرة مناصب عليا في الدولة الأموية بالأندلس، ومن أبرزهم في الفترة التي ظهر فيها ابن أبي عامر على مسرح السياسة أبو مروان عبد الملك بن أبي عامر، الذي تم استقطابه بوساطة ابن أبي عامر. ولأبي مروان أبناء أشهرهم أبو عامر أحمد المعروف بابن شهيد (ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، 1962، ص. 481؛ ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1966، ج 1، صص. 44 - 50؛ ابن بسام، **الذخيرة...**، ق 1، ج 1، صص. 191 - 197؛ محمد سعيد محمد، **ابن شهيد الأندلسي أديباً وناقداً**، منشورات جامعة سبها، 1988، صص. 47 - 48.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

جهور[43]، وغيرهم من الأسر الموالية لبني أمية، ولها حضور ومشاركة في السياسة والمجتمع[44].

ب - استمالة أبي تمام غالب الناصري:

بدأت الدولة الأموية تستعيد شبابها وقوتها في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، الذي نجح في بسط الأمن والاستقرار في الداخل وتأمين الثغور. وسار على نهجه ابنه وخليفته الحكم المستنصر (350 - 366 هـ/ 961 - 796 م). وقد أولى المستنصر الثغور اهتماماً خاصاً، فأسند إدارتها إلى شخصيات محنكة وقوية كأبي تمام غالب الناصري، صاحب مدينة سالم (Medinaceli)[45] والثغر الأدنى[46]، وشيخ موالي بني أمية بالأندلس، وفارسها بلا منازع.

ولما آلت السلطة إلى الخليفة هشام المؤيد بالله، وظهر للعيان انفراد جعفر المصحفي بالسلطة دونه، تقاعس غالب عن القيام بدوره في حماية الثغور، للعداوة والمنافسة القائمة بينه وبين المصحفي. فخشي المصحفي من تطور أمر غالب إلى إعلان العصيان والاستقلال بما تحت أيديه من أراض، فاستشار ابن أبي عامر في الأمر. فجاءت استشارته في وقتها بالنسبة لابن أبي عامر، فتعهد له بإصلاح حاله. ثم بدأ في تنفيذ تعهده، وتمكن - نتيجة لحسن علاقته بصبح والدة الخليفة هشام المؤيد، وسائر نساء القصر - من إصدار مرسوم باسم الخليفة يرفع بموجبه غالباً إلى خطة الوزارتين، وخطاب آخر يطلب منه فيه الاجتماع مع ابن أبي عامر في تدبير الصوائف، على أن يكون جيش الحضرة من مسؤولية ابن أبي عامر، وجيش الثغر من مسؤولية غالب[47].

وفي يوم الفطر من سنة 366 هـ/ 23 مايو 977 م، خرج ابن أبي عامر بالصائفة في غزوته الثانية متوجهاً نحو الثغر. فالتقى به غالب عند مدينة مجريط (Madrid). فتدارسا أمر

---

(43) بنو جهور: أسرة بني جهور أسرة فارسية ينتهي نسبها إلى بخت بن أبي عبدة، مولى عبد الملك بن مروان. وأول من دخل من أفرادها إلى الأندلس يوسف بن بخت، وذلك قبل وصول عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس. وقد كان من كبار موالي بني أمية بالأندلس. وقد أدت هذه الأسرة دوراً كبيراً في تثبيت حكم بني أمية بالأندلس، ونجاح سياسات المنصور ابن أبي عامر في تصفية خصومه السياسيين، وإحكام قبضته في السلطة. وقد كان أبرز أفرادها في فترة ابن أبي عامر جهور بن محمد بن جهور المشهور بابن جهور، الذي تم اختياره حاكماً على قرطبة من قبل أهلها بعد زوال حكم بني أمية بالأندلس في 15 ذي الحجة 422 هـ/ 3 دجنبر 1031 م (ابن بسام، **الذخيرة...**، **المصدر السابق**، ق 1، ج 2، ص. 602؛ ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب...**، **المصدر السابق**، ج 3، صص. 185 - 187).

(44) ابن عذاري المراكشي، **المصدر نفسه**، ج 2، ص. 272؛ المراكشي، **المعجب...**، **المصدر السابق**، ص. 72؛ ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، **المصدر السابق**، ص. 295.

(45) مدينة سالم (Medinaceli): تقع شمال مدريد (Madrid) على بعد 153 كلم في الطريق الذي يربط بينها وبين سرقسطة (Zaragoza). وهي اليوم من أعمال محافظة سورية (Soria).

(46) الثغر الأدنى: يطل على مملكة ليون (Leon) وعاصمته مدينة طليطلة (Toledo).

(47) ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب...**، **المصدر السابق**، ج 2، ص. 265.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

المصحفي، واتفقا على وضع مخطط للتخلص منه تدريجياً، ثم توجها نحو العدو فانتصرا عليه نصراً مبيناً، ثم عادا محملين بالأموال والسبايا والغنائم. وقد بالغ ابن أبي عامر، خلال هذه الفترة، في خدمة غالب واحترامه، حتى تمكن من قلبه وكسب ثقته. ومكافأةً له على ذلك، وتسهيلاً لمهمته في تنفيذ مخططهما ضد المصحفي، خاطب غالب الخليفة ناسباً كل الانتصارات التي حققاها على الأعداء إلى ابن أبي عامر ومثنياً عليه، ومتجاهلاً الدور الكبير والرئيس الذي أداه هو شخصياً فيها[48].

ج - الدخول في تحد مع المصحفي وعزله وتصفية أمواله:

شرع ابن أبي عامر بعد وصوله إلى قرطبة مباشرة، في تنفيذ مخططه ضد المصحفي. فعمل على إعفائه من وظيفة صاحب مدينة قرطبة، ووظف كل ما أتى به من غنائم وسبايا في كسب العناصر المؤثرة في صنع القرار السياسي لتحقيق الهدف السابق. وقد كان له ما أراد، إذ أصدر الخليفة هشام مرسوماً بإعفاء المصحفي من وظيفة صاحب المدينة، وعزل وكيله ابنه محمد عن إدراتها، وإسنادها إلى محمد بن أبي عامر. وبذلك يكون ابن أبي عامر قد أحكم قبضته على باب المدينة بولايته للشرطة، والجيش لقيادته له، والقصر لحسن علاقته مع الحُرُم، وأقفل الطريق أمام أي تحرك مضاد من قبل المصحفي.

وقد أولى ابن أبي عامر المدينة اهتماماً خاصاً. فبسط الأمن، ونكل بالذَّعَّار واللصوص وقاطعي الطرق، ولم يول أي اعتبار لأي علاقة تربطهم به أو بوجهاء المدينة، ولا لمكانتهم الاجتماعية. هذا، وقد استخلف ابن أبي عامر على قرطبة ابن عمه عمرو بن عبد الملك بن أبي عامر.

أما المصحفي، فإنه لم يرضخ لسياسة الأمر الواقع، بل سلك الطريق نفسه الذي سلكه ابن أبي عامر. فتقرب من غالب الناصري، وتمكن من خطب وده، وكسبه إلى جانبه. ولتوثيق الصلات أكثر بينهما، خطب ابنته إلى ابنه. ولكن ابن أبي عامر، لما وصل إليه الخبر، سارع إلى الاتصال بغالب، وتمكن من إقناعه بفسخ الخطوبة، وتزويج البنت إليه، وذلك في محرم 367 هـ/ أغسطس 977 م[49].

ثم واصل ابن أبي عامر تنفيذ مخططه ضد المصحفي. فقام بغزوته الثالثة إلى الثغر بصحبة صهره غالب، الذي التقى به في طليطلة (Toledo) في غرة صفر 367 هـ/ سبتمبر 977 م. وتمكنا من تدويخ مدينة شلمنقة وأرباضها، ثم عادا محملين بالغنائم والسبايا. وقد أدى نجاح ابن أبي عامر في هذه الغزوة إلى علوّ صيته في المجتمع، ورفع مرتبته إلى مرتبة الحاجب،

---

(48) **المصدر نفسه**، ج 2، صص. 265 - 266؛ ابن بسام، **الذخيرة...**، **المصدر السابق**، ق 4، ج 1، صص. 63 - 64.

(49) ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب...**، **المصدر السابق**، ج 2، صص. 266 - 267؛ ابن بسام، **الذخيرة...**، **المصدر السابق**، ق 4، ج 1، صص. 63 - 64.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

واستدعاء صهره غالب وتعيينه حاجباً إلى جانب المصحفي. وقد أدت هذه القرارات إلى ازدياد نفوذ ابن أبي عامر، ودفعه إلى الاستمرار في تنفيذ مخططه. فأثار سخط الخليفة على المصحفي، وأقنعه في يوم الاثنين 13 ليلة خلت من شعبان 367 هـ/ 17 مارس 978 م بإصدار مرسوم عزل بموجبه المصحفي عن الحجابة، وأمر بالقبض عليه وعلى أعوانه وأولاده وابن أخيه هشام، وصرفهم عن وظائفهم ومصادرة أموالهم، وإسناد هذه المهمة إلى ابن أبي عامر. فقام ابن أبي عامر بالمهمة خير قيام، وأصبح جعفر مجرداً من كل أمواله وممتلكاته، ومتنقلاً ما بين منزله والحبس إلى أن وجد ميتاً في محبسه بالزهراء في سنة 372 هـ/ 982 م[50][50]. وبهذا يكون ابن أبي عامر قد تخلص من أقوى منافسيه في السلطة.

5. الحجر على الخليفة هشام وتحجيم دور أمه صبح السياسي:

يشكل التخلص من المصحفي نقلة هامة في استراتيجية ابن أبي عامر المرسومة للوصول إلى السلطة، وذلك لأن المصحفي هو العقل المدبر والمنفذ للسياسة في عهد هشام، وأكثر الشخصيات ولاء للبيت الأموي، ولأن كل صلاحياته وسلطاته قد آلت إليه، أي إلى ابن أبي عامر. وبمعنى آخر، فقد أصبح المسير الحقيقي للدولة. وقد انتهز ابن أبي عامر هذه الفرصة في تنفيذ مخططاته تجاه الخليفة وأسرته؛ فابتدأ بالخليفة هشام، فقام بحجبه عن الأنظار، ومنع دخول الناس إليه، واختلاطهم به، وكلف بهذه المهمة مجموعات من الحرس والموظفين والعمال الموالين له، وجعل بعضهم عيوناً عليه ليرصدوا تحركاته ومشاعره نحوه، وردود أفعال نساء القصر، وأفراد الأسرة الأموية الحاكمة ومواليها تجاه هذا التحول السياسي الذي أحدثه. هذا، مع الانتباه إلى أنه قد أعاد تشكيل التركيبة الوظيفية للقصر، واستبعد منها كل العناصر الموالية لبني أمية والمعارضة لسياسته، واستعاض عنها بعناصر أخرى موالية له. ولكنه، مع كل ذلك، كان يظهر الاحترام للخليفة، ويأمر بذكر اسمه والدعاء له في الخطب والأعياد والمناسبات الدينية، ويسك العملة باسمه، ويدير الدولة باسمه، مدعياً أن الخليفة قد كلفه بهذه المهمة ليتفرغ للعبادة[51][51].

ثم انتقل ابن أبي عامر إلى صبح، والدة الخليفة هشام، التي كان لها نفوذ سياسي قوي في تسيير دفة الحكم، فأوقف تدخلها في الشؤون السياسية، واستبعد الموالين لها عن القصر، واستبدلهم بعناصر موالية له. ففطنت إلى أبعاد سياسات ابن أبي عامر، ونواياه تجاهها وتجاه ابنها، وحاولت القيام بتحركات مضادة له. ولكن ابن أبي عامر قد تمكن بوساطة جواسيسه اكتشافها والقضاء عليها في مهدها[52][52].

([50]) ابن بسام، **المصدر السابق**، صص. 65 - 70.

([51]) الحميدي، **جذوة المقتبس...**، **المصدر السابق**، ص. 78؛ المراكشي، **المعجب...**، صص. 47 - 48.

([52]) ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، تحقيق أحمد مختار العبادي، مدريد، 1971، ص. 62؛ ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب...**، **المصدر السابق**، ج 2، ص. 274.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

6. إسناد الوظائف العليا في الدولة لأفراد أسرته وعشيرته والموالين له:

الانحياز إلى ذوي القربى والأصدقاء غريزة طبيعية في بني البشر، تغذيه وتفرضه صلة الأرحام، والعلاقات الاجتماعية والاحتكاك، والثقة، والهم المشترك، وخاصة في القرون الوسطى. وقد بدأ هذا الانحياز إلى ذوي القربى، والاعتماد عليهم في إدارة شؤون الحكم، بصورة واضحة، في الدولة الإسلامية في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه. ثم سار خلفاء بني أمية وبني العباس بالمشرق، وأمويو الأندلس على نهجه. ولذلك لم يكن مستغرباً ميل محمد ابن أبي عامر إلى أقربائه وعشيرته، واختصاصه لهم بالوظائف العليا. وقد كان يهدف من وراء هذا الانحياز إلى التمكين لنفسه ولأسرته في الحكم، وحماية نفسه ودولته من التحركات المضادة. وكانت أهم الوظائف وأخطرها في الأندلس وقتذاك، وظيفة القائد الأعلى للجيش، وصاحب المدينة. فأما الأولى، فقد اختص بها ابن أبي عامر نفسه، ثم تنازل عنها لابنه عبد الملك في السنوات الأخيرة من عهده. وأما الوظيفة الثانية، فقد أسندها إلى ابن عمه عمرو بن عبد الله بن أبي عامر[53].

([53]) **المصدر نفسه**، ج 2، ص. 266؛ ابن بسام، **الذخيرة...**، **المصدر السابق**، ق 4، ج 1، ص. 64.

This file was downloaded from QuranicThought.com